رايات الإسلام

٦



فى ذات الصوارى

رايات الإسلام

(٦)

في ذاتِ الصَّوَارى

بقلم : وصفى آل وصفى

الطبعة الثانية



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

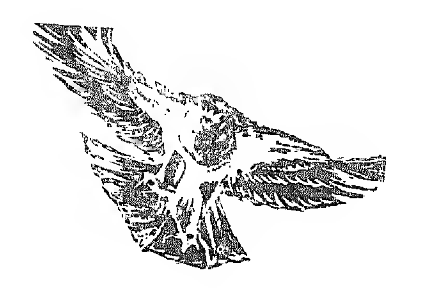
راياتُ الإسلام

بدأ القرنُ السابعُ الميلاديُّ والعربُ فى شبهِ الجزيرةِ ضعافٌ ومُتفرِّقُونَ ، يطغى عليهم الفرسُ بالعراقِ – فى الشّرقِ .. والرّومُ بالشامِ – فى الشّمالِ ..

وبُعِثَ الرسولُ ﷺ فغيَّرَ الإسلامُ حياةَ العربِ تَغْيِيرًا تامًّا .. أمدَّهُمْ بقُوَّةٍ حققَتِ المعجزات ، وجمعَتْهُمْ – فى ظلِّ راياتِهِ – طُمأنينةٌ نفسيةٌ تَنبعُ من سماحتِهِ .. وحماسَةٌ بُطوليةٌ تبعَثُها فيهِمْ أهدافُهُ العظيمة ..

وكانَتْ « مكةُ » المدينةَ الأُولَى فى شبهِ الجزيرةِ التى تمتدُّ حوالَى ألفِ كيلو مترٍ مِن الشرقِ إلى الغرب .. وما يزيدُ على ذلِك مِنَ الجنوبِ إلى الشّمالِ ، لكنَّ هجرة الرسولِ ﷺ نقلَتْ مَقَرَّ القِيادَةِ الإسلاميَّةِ إلى « يثرِبَ » التى أصبَحَتْ تُعرَفُ باسمِ « المدينة » ..

وتُوُفِّيَ الرسولُ فى العامِ الحادى عَشَرَ الهجرىِّ – سنةِ ٦٣٢ الميلاديَّةِ – فتتابعَ الخلفاءُ الراشدونُ بالمدينةِ ، وَمِنْها .. وَمِنْ « دِمشقَ » بالشّام .. و« القاهرةِ » بمِصرَ .. انطلَقَتْ راياتُ الإسلامِ تُبَشِّرُ الشعوبَ بالتحريرِ ، وتزُفُّ إليها العدلَ والحريةَ .. وتصحبُ المؤمنينَ فى معارِكَ بَريَّةٍ وبحريَّةٍ خالِدَةٍ .. ماتزالُ أخبارُها تُرْوَى فتُثِيرُ الإعجابَ لَدَى القادَةِ والجنودِ ، وتغرِسُ العِزَّةَ فى نُفوسِ الناشِئة ..



فى ذات الصوارى

١

اللهُ أكْبر .. اللهُ أكبر ..

لا إلهَ إلاَّ اللهُ ..

مُحمدٌ رَسولُ اللهِ ..

صَيْحةُ الحقِّ ، ارتفعَتْ فى شِبهِ الجزيرةِ العربيةِ فَغَلَبَتْ كَيْدَ المُشرِكينَ بها من عَرَبٍ ويَهُودٍ ، وانتصَرَتْ على جَحافِلِ الفُرْسِ والرُّومِ ، لم يَعْصِمْهُمْ مِنها عَتادُهمُ الكَثِيفُ ، وأسلحتهم المُتقدِّمةُ ، وماضِيهمُ العَسْكَرىُّ الحافل ..

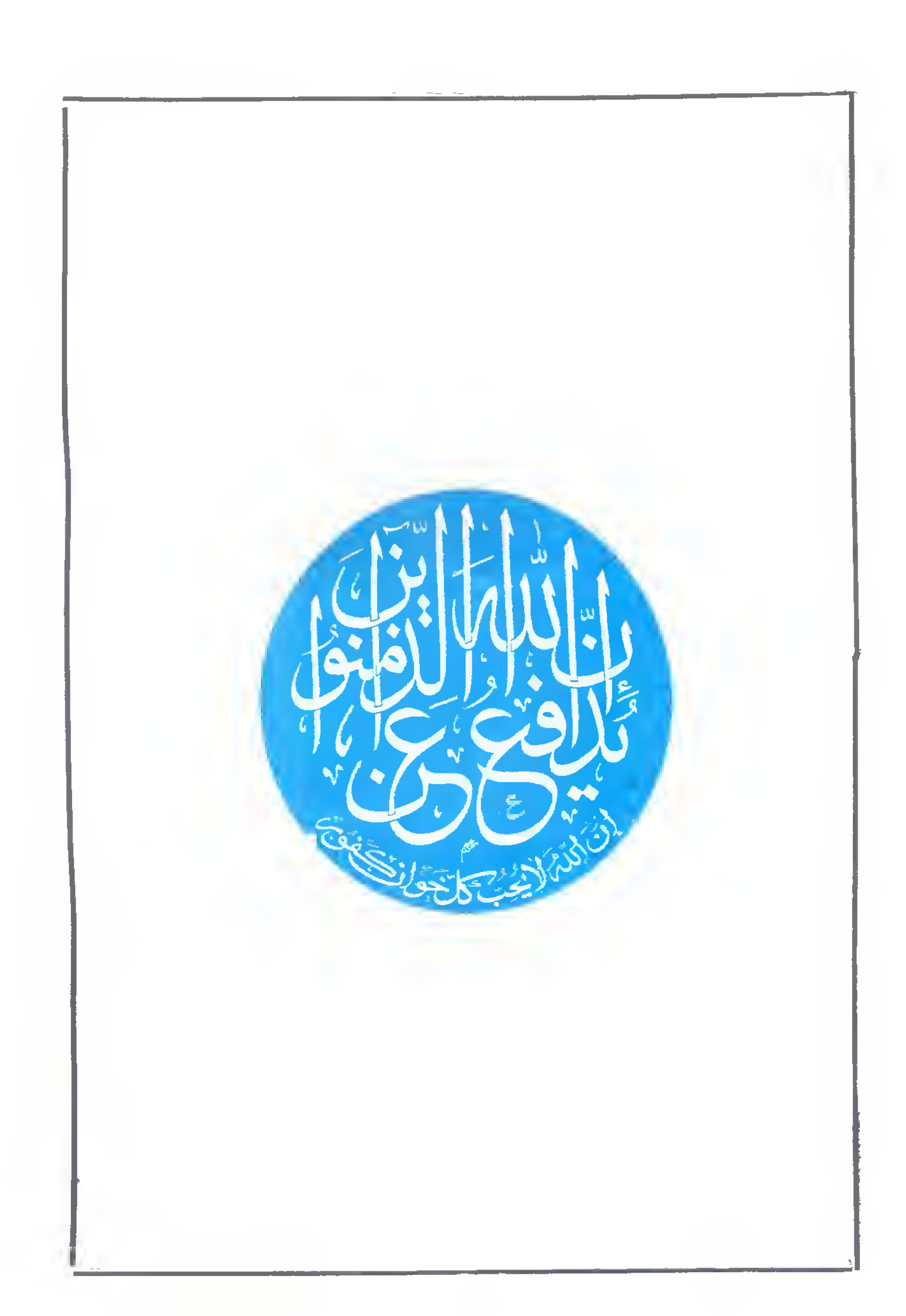
هُتافُ الإيمانِ ، آخَى بَيْنَ الشُّعوبِ المتطلِّعةِ إلى نِظَامٍ يُحقِّقُ لها السَّعادةَ فى الدُّنيا وفى الآخرَةِ ، وتردَّدَ مَعَ الأَذانِ فى دارِ الإسْلامِ مِنْ جَنُوبِ الجزيرةِ العربيةِ .. إلى العراقِ .. إلى الشامِ .. إلى مِصر ..

غَيرَ أنَّ الطُّغاةَ ، من فُرْسٍ ورُومٍ ، أَبَوْا أن يَعترِفُوا بأنَّ قُوَّةَ المسْلِمينَ فى عَقِيدَتِهِم التى يبذُلُونَ الحياةَ رخيصةً مِنْ أجْلِ نَشْرِهَا فى أنحاءِ الأرْضِ وإبلاغِها للنَّاسِ جميعًا ..

أوْهمُوا أنفسَهُمْ أنَّ السببَ فى انْتِصاراتِ المُسْلِمينَ الرَّائعةِ فى « الْيرْمُوكِ » و« القَادِسِيّةِ » و« القُدْسِ » و« نَهاوَندَ » هُوَ حَيَاةُ الصَّحراءِ الخَشِنةُ التى تعوَّدُوها .. ولا شَىْءَ غَيْرُ ذَلك ..

وكان للرُّومِ أُسْطولٌ كَبيرٌ يُسيطرُ على ثُغورِ البحرِ المُتوسِّطِ ، فحسِبُوا أنَّ تفوُّقَهُمُ البحرِىَّ هو السّلاحُ الذى لا يُقاوَمُ .. وأنه لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ لِلْمسلِمينَ أمامَ سُفُنِهِم الحربيَّةِ ، وجَعَلُوا يَسْتكْثِرُونَ مِنْ تلك السُّفنِ ، تأهُّبًا لصدِّ المُسلمينَ ومَنْعِهِمْ مِنْ أىِّ تقدُّمٍ جَديدٍ .. ثم العَوْدَةَ إلى مُسْتَعْمراتِهِم القديمةِ فى الشَّامِ ومِصر ..

لكنَّ المسْلِمينَ لَقَّنُوهم درسَيْنِ بالِغَيْنِ ، فى « طَرابُلُسَ » وفى « الإسْكندريَّة » ..


إن الله يدافع عن الذين آمنوا
إن الله لا يحب كل خوان كفور

٢

أتمَّ « عَمْرُ بْنُ العاصِ » فَتْحَ مِصرَ عامَ ٢١ الهِجْرِىَّ – ٦٤٢ الميلادىَّ – وتطلَّعَ إلى الغربِ فوجدَ الرُّومَ يتجمَّعُونَ فى « بَرْقَةَ » و « طَرابُلسَ » وغيرِهِمَا مِنْ مُدنِ المغربِ الذى كانوا يَحْتلُّونَهُ منذُ القرنِ الثانى قبلَ الميلاد ، وكان لابُدَّ للمسلِمينَ مِنَ السَّيْرِ إلى المغربِ ، للقضاءِ على القُوَّاتِ الرُّومانيةِ به التى تُهدِّدُ مِصر..

وهزمَ المُسلِمُونَ الرُّومَ فى برقةَ ، ثم جاءوا إلى طرابُلسَ المطلَّةِ على البحر المتوسِّطِ فَحاصرُوها مِنَ الشَّرقِ والغربِ والجَنُوبِ ، ولم يكُنْ لَدَيْهِمُ السُّفنُ اللَّازمةُ لإحكامِ الحِصارِ علَيْهَا من جهةِ الشَّمالِ ، حَيْثُ وقفَ الأُسطولُ الرومىُّ يَمُدُّ المدينةَ المحاصرةَ بحرًّا بما تحتاجُ إلَيْهِ من سِلاحٍ وأقْوات ..

غَيْرَ أنّ المسْلِمينَ لم يلبثُوا أنْ كَشَفُوا مَوْقعًا تنحَسِرُ عَنْهُ المياهُ ، وعبرُوهُ إلى المدينةِ فسلَّمَتْ حاميتُها وفرَّ الأسطولُ الرُّومىُّ إلى عَرْضِ البحرِ !

وفى عام ٢٥ الهجرىّ — ٦٤٥ الميلادىّ — أبحر أُسطولٌ رومىٌّ يضمُّ ثلاثمِائة سفينةٍ مِنَ « القُسْطَنْطينيَّةِ » ، ودخل ميناءَ الإسكندريَّةِ خِلْسةً باللَّيْل ، وتَمكَّنَ جُنودُ الأسطولِ من احْتلالِ الإسكندريَّةِ بمساعدَةِ السُّكانِ الرُّومانِ ، الذين ترك لَهُمُ العربُ حرِّيةَ الإقامةِ بالمَدِينةِ فخانُوا وغَدَرُوا ..

وقتلَ الرُّومانُ مُعظَمَ العربِ الذين كانوا بالإسكندريَّة !

لكنْ سُرعانَ ما سارَ المُسْلِمونَ بقيادَةِ عَمْرو بْنِ العاصِ إلى الإسكندريَّةِ ، وحاصرُوها بَرًّا ، ونجحُوا فى فتْحِها للمرَّةِ الثّانيةِ ، ولم يحُلِ الأُسطولُ الرُّومىُّ الضخمُ دُونَ ذلك ..

وكمَا حدثَ فى « طرابُلسَ » ، فَرَّ الأسطولُ الرومىُّ إلى عرْضِ البحْرِ ..

وكان لهذهِ المحاولاَت البحريةِ مِنْ جانبِ الرُّومَان أثَرُها ، فقد استَرْعَتِ اهْتمامَ الخليفَةِ « عُثْمَانَ بْنِ عفَّانَ » ... والولاةِ العربِ فى الشامِ ومِصر.. وعجَّلَتْ ببناءِ البحريَّةِ الإسلامِيَّة ..

بسم الله الرحمن الرحيم

وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ
وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ
إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ

٣

تولَّى عُثْمانُ بنُ عفَّانَ الخلافةَ عامَ ٢٣ الهجريَّ ، بعدَ مَقْتَل « عُمَرَبْنِ الخطَّابِ » بيَدِ المجوسيِّ – عابدِ النارِ – « أبِى لُؤْلُؤَة» .

وكان عثْمانُ فى السَّبْعينَ من عُمْرِه ، فتآمَرَتْ بقايا الطَّبَقَة الحاكمةِ الفارِسيَّةِ ، وخطَّطَ الرُّومُ فى القُسطنطينيَّةِ ، مُعتقدِينَ أنَّ الخليفةَ الشَّيْخَ ضعيفٌ .. وأنَّ الفُرْصَةَ سانِحَةٌ للانْقضاضِ على الدَّوْلةِ الإسلاميَّةِ .

نَشَرَ الفُرسُ الفِتْنةَ فى بعض ولاياتِهم القديمةِ ، وأغار الرُّومُ على الإسكندريَّةِ ، وحَشَدُوا قُواتِهم وأعوانَهُم فى بلادِ المغربِ .

لكنَّ الخليفةَ الشَّيْخَ كان قَوِيًّا بإيمانِهِ ، فلم يتردَّدْ فى الضَّرْبِ على أيدِى المُفْسِدينَ وقتالِ المُغْتَرِّين فى كُلِّ مكان ، فسَحقتِ القواتُ الإسلاميَّةُ الفِتنةَ فى « فارِس » ، واستردَّتِ الإسكندرية على الرَّغمِ من الأُسطولِ الكبيرِ الذى كان يَرْسُو فى مينائِها .. وانتصرَتْ على جُموعِ الرُّومِ وحلفائِهِمْ فى « المغرب » ..

ونظر عُثْمانُ - رَضِيَ اللهُ عنهُ - إلى القُوَّةِ البحريَّةِ الرُّوميَّةِ فوجدَها تتَّخذُ من جزيرةِ « قُبْرُصَ » مركزًا لعمليَّاتها ، فقررَ أن يستَوْلِيَ على الجزيرةِ ليَحْرِمَ الأعداءَ من قاعِدَةٍ هامَّةٍ تُيَسِّرُ لهم العُدوانَ على مِصر والمغرب ، وأصدرَ الأمر بذلك إلى « مُعاوِيَةَ ابْنِ أبي سُفْيَانَ » والى الشام و « عَبْدِ اللهِ بْنِ سَعْدٍ » والى مِصر ، فنَشِطَ الوَالِيَانِ لتنفيذ المُهِمَّةِ الموكُولَةِ إلَيْهِما ..

ولم يمضِ وقتٌ طويلٌ حتى تحقَّقَ ما تنبَّأَ بهِ الرَّسُولُ ﷺ فى بَيْتِ « عُبادَةَ بْنِ الصَّامتِ » ، فرَكِبَ عُبادَةُ وزَوْجَتُهُ « أمُّ حرامٍ » البحرَ مع جَيْشِ الشَّامِ المتجهِ إلى قُبْرص ..

وعُبادَةُ بْنُ الصامتِ واحدٌ من زُعماء الأنصارِ المبكِّرينَ إلى الإسلام ، عاش يحرِصُ على أن تكونَ حياتُهُ تَطبيقًا لما تَعلَّمَ مِنَ الرَّسولِ ﷺ ، وذاتَ يَوْمٍ كانَ الرَّسُولُ يَرْقُدُ فى دَارِ عُبادَةَ بالمدينةِ ، ونَهضَ من نَوْمِهِ وهو يضحك فسأَلَتْهُ أُمُّ حرامٍ عَمَّا يُضْحِكُهُ ..

قال ﷺ : « نَاسٌ من أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ يركَبُونَ ثَبجَ هذا البحرِ مِثلَ المُلوكِ على الأَسِرَّة .. » !

قالَتْ أُمُّ حرامٍ :

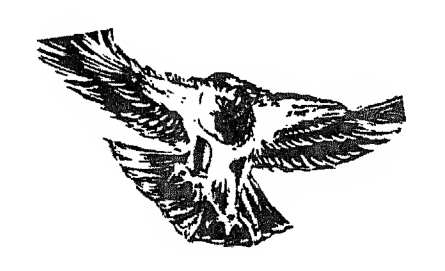
- يا رسولَ اللهِ ، ادعُ اللهَ أن يجعلَنِى مِنْهُم ..

فقالَ الرَّسُولُ ﷺ :

- أنتِ مِنْهُمْ ..

وفى عامٍ ٢٨ الهجرىِّ خرجَ الأُسطولُ الإسلامىُّ إلى « قُبْرُصَ » ، يحمل المجاهدِينَ فى سبيلِ اللهِ .. يركَبُونَ ثَبَجَ البحرِ - أىْ ظهرَهُ - وكأنهمُ الملوكُ على الأسِرَّةِ ..

وبَيْنَهُمْ كان عُبادَةُ وزَوجَتُهُ أُمُّ حَرامٍ ..



٤

اسْتولَى المُسلمونَ على « جَزيرةِ قُبْرُصَ » عامَ ٢٨ الهجريّ فثارَتْ ثَوْرةُ الرُّومِ ، وعبَّئوا كُلّ إمكاناتِهِم للاِحتفاظِ بسيطرَتِهِم على مياهِ البحرِ المتوسِّطِ الذى كان يُنسَبُ إلَيْهِمْ ، ويُطلقُ علَيْهِ « بَحْرُ الرُّوم » !

لكنَّ المسلمينَ عَزَّزُوا انتصارَهُمْ فى « قُبْرُصَ » بانتصارٍ ثانٍ حقَّقُوه عامَ ٣٣ الهجريّ ، عندما استولَوْا على جزيرةِ « رُودس » ..

وكسَبَ رجالُ البحرِ العربُ خِبرةً كبيرةً مِنَ المعاركِ التى دارَتْ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ الرُّومِ فى « قُبرصَ » و « رُودسَ » ، ومِنَ الغاراتِ الجسورَةِ التى شنُّوها على قواعدِ الرُّومِ فى جزيرتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ هما : « صِقلّيَّةُ » و « كرِيت » ..

واتَّصلَ الصِّراعُ بين البحريَّةِ الإسلاميَّةِ الناشئةِ والأُسطولِ الرُّوميِّ الضخمِ سِتَّ سنواتٍ ، نَشِبَتْ فى نهايتها معركةُ « ذاتِ

الصَّوارِى » عامَ ٣٤ الهجرىّ – ٦٥٥ الميلادىّ – وقد أرادَها الإمبراطورُ « قنسطانِز » الثانى معركةً حاسمةً يَقضِى فيها على الأُسطولِ العربىِّ ، الذى استطاعَ فى فتْرة قَصِيرةٍ أن يُضعِفَ النُّفوذَ الرُّومىَّ فى شَرْقِىِّ البحرِ المتوسِّطِ ، ويُهدِّدَ بالاقترابِ مِنَ القسطنطينيَّةِ ذاتِها !

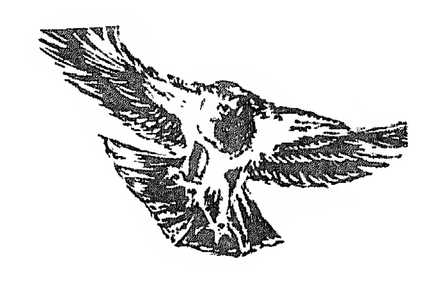
عكَفَ « قنسطانزُ » الثّانى على تدريبِ الجيوشِ وتسليحِها حتى اجتمع له ما لم يَجتَمِعْ لِجَدِّهِ « هِرَقْلَ » من قبلُ ، وأعدَّ لحمل جُيوشِهِ ثمانَمائةِ سفينةٍ مزوَّدَةٍ بأحدثِ آلاتِ القتالِ ! وخرج على رأسِ هذِهِ القُوّةِ البحريَّةِ الهائلةِ ، تُداعِبُهُ أحلامُ الانتصارِ ، والانتقامِ لِمَا أصابَ قُوّادَهُ فى المعاركِ السَّابقةِ .

وَعَلِمَ العربُ بِخُروجِ الأُسطولِ الرُّومىِّ لمهاجمتِهِمْ ، فأسرعَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سعدٍ وانضمَّ بالأسطولِ المِصرىِّ إلى أُسطولِ الشّام . ثم أبحرَ الأُسطولُ العربىُّ المُوَحَّدُ تَحْتَ قيادَةِ عبدِ اللهِ ، وتصدَّى للأسطولِ الرُّومىِّ بالقُرْبِ من مدينةِ «الإسكنْدَرُونةِ» على ساحِلِ « آسيا الصُّغْرى » ..

وحالَتِ الرِّياحُ العاصِفَةُ دُونَ اشتباكِ الأُسطولَيْن ، فقَضَى

الفريقانِ اللَّيْلَ ينتظِرانِ ضَوْءَ الصّباحِ .. العربُ يُصَلُّونَ ويدعُونَ اللهَ .. والرُّومُ يدُقُّونَ النواقِيسَ ويشربُونَ الخمرَ ..

وفى الصَّباحِ دَارَتْ معركةُ ذاتِ الصَّوارِى[1] ، – أوْ ذات السَّوارِى – تعبيرًا عَنِ العددِ الضخم مِنَ السُّفنِ الَّتى اشْتَرَكَتْ فِيهَا .. حتى بَدَتْ صَوَارِيها كغابَةٍ كثيفَةٍ تطفُو على سَطْحِ البحر !



(١) الصّارى : عمود يُقام فى السفينة يُشَدُّ عليه الشِّراعُ ، وجمعه صَوارٍ ، ومثله السَّارية وجمعها سوارٍ.

بسم الله الرحمن الرحيم

وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ

أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ

٥

وقفَ « قنسطانزُ » يُديرُ المعركةَ مِن سفينةِ القيادةِ الرُّوميَّةِ ، فلمـا رَأى المُسلمينَ يَستخدِمُونَ السّهام والحرابَ ابتسمَ .. فَمهْمَا بَلَغَتْ ذخيرتُهُمْ مِنْهَا لابُدَّ من أن تَنْفدَ ..

وتَهلَّلَ وجهُهُ عندما صَدَق ظَنُّهُ ونَفِدَتْ فِعْلاً سهامُ المُسلمينَ وحِرابُهم !

لكنَّ فرحتَهُ لم تَتِمَّ ، فقَبْلَ أن يتمكَّنَ الرُّومُ مِنَ استغلالِ الفرصةِ السّانحةِ ، كان المسلمونَ يَرْمُونَ الخطاطِيفَ على سُفُنِهِمْ ويَجْذِبُونَها إلَيْهِمْ .. ويندفِعُونَ بعدَ الالتحام لقتالِ أعدائِهِمْ بالسُّيوفِ ، وكأنَّمـا هُمْ يَخوضُونَ معركةً بريَّةً !

واشتدَّ القتالُ ، فقد راحَ الرُّومُ يهجُمُونَ ويستميتُونَ فى سبيلِ التَّقَدُّمِ .. وراح العربُ يُكبِّرونَ وهم مُتَشَبِّثُونَ بمواقِعِهِمْ يَطْلُبونَ النَّصرَ أوِ الشَّهادةَ ..

وفكَّر « قنسطانزُ » فى حيلةٍ يُنقِذُ بها الموقفَ ، فأمَرَ رجالَهُ أن

يفعلُوا ما فعلَهُ المُسلمونَ ويَجْذِبُوا سَفينَةَ عبدِ اللهِ بْنِ سَعدٍ إلى سفينَتِه ، أرادَ الإمبراطورُ أن يُباغِتَ القائدَ العربىَّ فيقتُلَه أو يأسِرَهُ ، وَبِذَلِكَ يَفقِدُ المسلمونَ قائِدَهُمْ فتفتُرُ حَمَاستُهُمْ وتخمُدُ شجاعَتُهم . وكادَتْ خُطَّتُهُ أنْ تَنْجَحَ لَوْلاَ أنَّ جُندِيًّا مُسلِمًا أدركَ هَدَفَ العدُوِّ فقفزَ فَوْقَ الحبالِ التى تَشُدُّ سَفينةَ قائِدِهِ وراح يَضرِبُها بسَيْفِهِ غَيْرَ مُبالٍ بما يُصيبُهُ من سهامِ الرُّوم ..

وأفلحَ المجاهدُ فى تخليصِ سفينَةِ القيادةِ الإسلاميَّةِ فاتَّصلَتِ المعركةُ ، وسَقطَ عددٌ كبيرٌ مِنَ القَتْلَى مِنَ الجَانِبَيْن .. حتى لقد حَمَلَتِ الأَمواجُ الجُثَثَ والدِّماءَ إلى الشاطئ !

وأَخيرًا نَصَرَ اللهُ المسلمينَ ، وتفرَّقَ شَمْلُ الأُسطولِ الرُّومىِّ .. وفَرَّ الإمبراطورُ إلى جزيرةِ صِقليَّةَ حيثُ قَتَلَهُ أهلُها لِمَا تسبَّبَ فيهِ من هزيمةٍ مُنْكَرَةٍ !

وكانت مَعْركةُ ذاتِ الصَّوارِى بدايَةَ عهدٍ جديدٍ سَيْطرتْ فيهِ البحريَّةُ الإسلاميَّةُ على البحرِ المتوسِّطِ ، شرقًا وغربًا .. وقامَتِ المنشآتُ العربيَّةُ لصناعةِ السُّفُنِ فى ثُغورِ الشامِ ومِصرَ ، و« تُونس » ، ولم يمضِ وقتٌ طويلٌ حتى زالَتْ دولةُ الرُّومِ

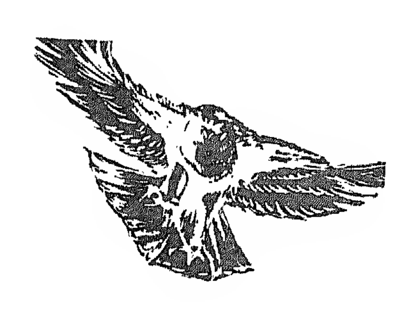
الشَّرقيَّةُ ، ورَفْرَفَتْ راياتُ الإسلامِ على عاصِمَتِهَا ..

وارتفَعَتِ المآذنُ فى القسطنطينيَّةِ تَدْعُو للهِدايَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ كُلَّ يَوْمٍ ..

اللهُ أكبرُ .. اللهُ أكبرُ ..

لا إلهَ إلاَّ الله ..

مُحمَّدٌ رسولُ الله ..



رقم الإيداع		١٩٩١ / ٣٦١٣
الترقيم الدولى	977 - 02 - 3255 - 6	ISBN

١ / ٩١ / ٧٥

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

رايات الإسلام



دار المعارف

ص
١٠٠